

المحور الأول: مفاهيم عامة حول علم الآثار

مقدمة

يشتمل تعريف أي علم من العلوم على تحديد طبيعة موضوعات الدراسة فيه و التساؤلات التي يحاول الإجابة عليها و نوع المادة التي يتم جمعها، وكل هذا يتحدد في ضوء الأهداف التي يرمي هذا العلم إلى تحقيقها.

1- تعريف علم الآثار

علم الآثار هي ترجمة لكلمة أركيولوجيا Archéologie أو Archaeology

* التعريف اللغوي: أصل الكلمة إغريقي و هي مركبة من كلمتين:-

-أركايوس (Arkaios): تعني القديم (العتيق أو البائد)

-لوقوس (Logos): تعني العلم أو المعرفة

وبهذا يكون معنى المصطلح في مجمله: العلم المختص بدراسة العاديات أو الآثار القديمة.

يعتبر اليونان أول من استخدم هذه الكلمة للدلالة على دراسة المخلفات القديمة، ثم استخدمت عند الرومان للدلالة على التاريخ القديم.

فذكرها دنيس داليكارناس (Denis d'Halicarnasse) الكاتب المشهور في عهد أوغسطس في عنوان كتابه المعروف باسم (الأركيولوجيا الرومانية)، وذلك للدلالة على تاريخ روما منذ البداية حتى الحروب البونية. كما استعملت بين سكان البلاد الناطقة باليونانية خلال القرون الميلادية الأولى للدلالة على ممثلي الدراما) و هم الذين كانوا ينقلون الأساطير القديمة (فوق المسارح).

و عندما بدأت اهتمامات العلماء و الفنانين تتجه نحو فهم العصور الكلاسيكية القديمة خلال عصر النهضة الحديثة استعملت كلمة "أركيولوجيا" بكثرة للدلالة على مغزاها العلمي، و من ثمة وجدت السبيل لاستعمالاتها في جميع اللغات الأوروبية الحديثة.

و مع نهاية القرن 18 م أصبحت كلمة (أركيولوجي) تدل على ذلك الفرع من العلم الذي يهتم بدراسة مخلفات الإنسان المادية و بالتالي، فمعناها كعلم:

"هو علم يبحث في المخلفات المادية الثابتة و المنقولة للحضارات القديمة المختلفة منذ نشأة الإنسان و هذا خلال تحليل البقايا المادية المستخرجة من الحفريات."

● المفهوم الحضاري لعلم الآثار: هو التعبير عن آثار حضارة ما محدودة في إطار زمني مضبوط.

● المفهوم التاريخي: لعلم الآثار: هو التعبير عن أحداث تاريخية معيّنة.

● المفهوم العلمي لعلم الآثار: هو دراسة منهجية تؤكد استقلالية علم الآثار عن المناهج الأخرى و تفاعله

مع العلوم المختلفة.

"و بالتالي يمكن القول بأنه علم مستقل له كيان و مناهج و أساليب خاصة في البحث ،أو بإعتباره فن يستخدم

أساليب تقنية لجمع و تحليل المادة و بالتالي هو نوع من العلم و الفن معا ."

و من أمثلة التعاريف:

- تعريف تيلور 1948: "علم الآثار ليس تاريخا ولكنه علم مستقل، يتكون من منهج و مجموعة من الأساليب الفنية

المختصة لجمع و انتاج المادة الثقافية ."

- تعريف هاموند 1963: "الدراسة العلمية للآثار القديمة أو البقايا المادية للحياة الانسانية القديمة و بالتالي فهو

يشتمل على كل جوانب الثقافة القديمة من عمارة و فن و صناعة و فخاريات و تاريخ"

- تعريف ليبك: "علم يفحص بموضوعية و يستقصي النتائج ثم يختبرها في حقل الدراسة"

- تعريف هال: "هو علم و فن في نفس الوقت فهو لا بد أن يكون فرعاً علمياً منظماً ،باحثون مدربون تدريباً علمياً حقيقياً في موضوع محدد هو بقايا الأنشطة الانسانية القديمة .كما أنها لا بد أن تكون الفن الذي يتعامل مع هذه البقايا بطريقة علمية ،تلك البقايا التي يعثر عليها بالتنقيب في الأرض حيث دفنت و حفظت نشرها بإعتبارها مادة خاصة بالجنس البشري".

- تعريف فاجان 1972: "هو مجموعة من المناهج و الأساليب الفنية لدراسة الإنسان في الماضي سواء أكانت علماً أم فناً..."

"ويمكن تعريف علم الآثار على أنه علم يدرس أي دليل يمكن أن يساعدهم على فهم حياة الناس الذين عاشوا في الأزمنة القديمة. و تتراوح الأدلة الأثرية بين بقايا مدينة كبيرة، وقلعة من فلَق قطع الحجارة، التي تركها أحد الذين كانوا يصنعون الأدوات الحجرية منذ أزمان بعيدة."

2- أهمية علم الآثار

تكمن أهمية علم الآثار في :

- مساهمته بشكل كبير في إحياء العديد من تواريخ الأمم المجهولة و الحضارات القديمة و التجارب الإنسانية المختلفة ، مما جعله هدفاً دائماً و مستمراً في تدعيم الكتابات التاريخية بشواهد مادية (أدلة مادية أثرية).
- لاشك في أن كثير مما تقتنيه متاحف الآثار المختلفة في شتى بقاع العالم من تحف جميلة و ثمينة ،إنما تدين في حفظها و وجودها إلى علم الآثار في ميدان الحفر و الترميم و كلما اتسعت الكشوف العلمية كلما ازدادت قدرة الناس على فهم أنفسهم و فهم حضاراتهم .
- لعلم الآثار الفضل في جعل آلاف السنين كتاباً مفتوحاً بعد أن كانت شيئاً غامضاً و مجهولاً، و يرجع ذلك عن طريق الكشف عن الوثائق المكتوبة التي تسجل إبداعات الإنسان في شتى مجالات العمارة و الثقافة و الفنون و العقيدة وغيرها.
- لولا أعمال الحفر و التنقيب التي قام بها علماء الآثار لما أمكن من خلالها معرفة الحضارات .

3- مجالات علم الآثار وميادينه : ويمكن تقسيم مجالات دراساته إلى عدة أنواع ، أهمها:

أ- المعثورات المصنوعة

المعثورات المصنوعة، هي تلك المواد التي صنعها الإنسان ويمكن أن تنقل من مكان إلى آخر دون إحداث تغيير على مظهرها. وهي تشتمل على مواد مثل النصال والقدور والخرز. كما يمكن أن تشتمل . بالنسبة إلى مجتمع ذي تاريخ مكتوب . على الألواح الطينية وعلى سجلات أخرى مكتوبة، و على حد تعبير تيلور تعد المعثورات المصنوعة الشواهد الأساسية التي يعتمد عليها الأنثروبولوجيون في دراسة الحياة الثقافية للشعوب البدائية، فهي تعد من أهم الرواسب الثقافية. وقد نتج عن الأبحاث الأثرية التي أجريت في الجزائر بمنطقة تبسة ، إرجاع تاريخ الإنسان في إلى العصر الباليوليتي (الحجري القديم)، وذلك من خلال إكتشف أدوات من الحجارة والصوان ورسوم ورماديات مختلفة الأحجام، في كهوف القسطل ، والماء الأبيض، وفج غليلاي، وجبل الدكان.

ب- الظواهر

الظواهر هي المعثورات الأثرية التي تظهر على سطح الأرض ويمكن ملاحظتها بالعين المجردة وتتألف بصورة رئيسية، من البيوت والمقابر وقنوات الري، ومنشآت عديدة أخرى، قامت ببنائها الشعوب القديمة. و خلأفاً للأدوات، فإنه لا يمكن فصل الظواهر عن محيطها، دون أن يحدث تغيير في شكلها.

ج- المعثورات الطبيعية

المعثورات الطبيعية، هي المواد الطبيعية التي توجد جنباً إلى جنب مع الأدوات والظواهر. وتكشف هذه المعثورات طريقة تفاعل الناس في العصور القديمة مع محيطهم. وتشتمل المعثورات الطبيعية . على سبيل المثال على البذور وعظام الحيوانات، كما تشتمل أيضا المواد الكيميائية والغازات، وحتى المواد العضوية المختلطة بالتربة.

نخلص الى القول أن علم الآثار هو علم التحري عن الأصول المادية لحضارة الإنسان و من ثم فهو علم الوفاء للقديم و الحرص على تتبع مسيرة التطور التي سلكتها الحضارة البشرية في عصورها الماضية عن طريق استقراء

الشواهد المادية ، ومن تراث هذه العصور واستخلاص القيم الثقافية ، العلمية والجمالية من كل ما أبدعته قرائح الانسان و أحاسيسه و علومه و من كل ما شكلته تجسيدا لمعتقداته و فنونه. و هو كذلك العلم الذي يدرس الآثار و لخلفياتها لأنها في مفهومه هي وقائع ملموسة تتحدث بلسان أهلها و زمانها اجابا و سلبا و لا تنفصل عن كيانهم في الزمان و المكان و التأمل و الخيال حتى و لو كانت آثارا ساذجة غير مكتوبة و يمكن القول أن علم الآثار هو علم دراسة حياة الإنسان وفق الأدلة. و بالتالي علم الآثار هو علم حيوي هام من علم الانسان (أنتروبولوجيا) الذي ينقسم الى ثلاث فروع رئيسية هي :

❖ علم الانسان الفيزيائي : الذي يعتني بدراسة تطور الحيان البيولوجية و السلالات الانسانية و أجناس البشر و خصائصهم.

❖ علم الانسان الثقافي : الذي يعتني بدراسة تاريخ الانسان و استقراره و تطور حياته و ثقافته.

❖ علم الآثار: الذي يعتني بدراسة حضارة الانسان في عصورها القديمة تطورا و اضمحلالا في كل مجالات الابداع الفكري و المادي لهذا الإنسان.

4- اختصاصات وفروع علم الآثار

يقسم علم الآثار إلى مجموعة من الاختصاصات حسب الحقب الزمنية، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى، حسب الفترات التاريخية والحضارات التي عرفتها :

1-5- اختصاص أثار ما قبل التاريخ: حيث يدرس من خلال الآثار و المخلفات منذ ظهور الإنسان إلى غاية ظهور الكتابة و ينقسم بدور إلى ثلاث فروع:

أ- العصر الحجري القديم (الباليوليثي – paléolithique) : منذ مئات الألوف من سنين و حتى 12000 سنة ق.م.

استعمل فيها الإنسان الأحجار الطبيعية و عظام الحيوانات و أغصان الأشجار و الأخشاب في قضاء متطلبات حاجياته اليومية داخل الكهوف و المغارات غالبا . فستعمل الأحجار الصوانية التي رققها لتصبح سكاكين و أدوات حجرية مختلفة الأشكال كالقوس و المطارق و الأزامل و المناشير و صولا إلى المنجل و السهم و المجرفة للصيد .

ومع اكتشاف العظم و الخشب و العاج لجأ الإنسان إلى استعمالها كمواد لتكوين قبضات الأسلحة و الأدوات الزراعية البسيطة . و لعل الاكتشاف الأهم في هذه المرحلة من الزمن كانت النار . وربما كانت طريقة اكتشافها بالصدفة من مراقبة الشهب الساقطة من الجو أو البرق و الأحداث الطبيعية.

ومن أوضح الآثار التي خلفها إنسان العصر الحجري القديم هي الرسوم على جدران الكهوف لحيوانات كالثور البري و الماموث و الحصان ... الخ (رسومات الصخرية) كانت تحفر بالآلات الصوانية المصقولة.

ب-العصر الحجري الوسيط (الميزوليتي –mésolithique) : بين 12000 سنة ق.م و 6000 سنة ق.م و قيل 9000 سنة ق.م.

يجسد هذا العصر المرحلة الحضارية التي مر بها الإنسان فأصبح مزارعا و صيادا ، فبدأ، علاوة على الصيد ، بالاعتماد على البذور و الزرع و تخزين الحبوب و تدجين الحيوانات و بناء مراكز سكنية بدائية من أكواخ و أطلق على هذه المرحلة بالحضارة الزراعية.

ج-العصر الحجري الحديث (النيوليتي néolithique) : بين 6000 سنة ق.م و 4000 سنة ق.م.

رأى هذا العصر اختراع الخزف و الغزل و الزخرفة على الأدوات الخزفية و البناء بجميع مستلزماته و تصنيع الزوارق و تطور المفاهيم العقائدية و العلوم. و أهم آثار هذا العصر و بقاياها اكتشفت في لبنان و سوريا و فلسطين و شمال العراق و في المناطق الشمالية للشرق الأدنى.

ظهر أول كتابة كان سنة 3500 سنة ق.م ، و أولها جاء من سومر و انتشرت في بلاد ما بين النهرين وصولا حتى شمال سوريا. و بالكتابة تبدأ العهود التاريخية و التاريخ.

2-5- اختصاص آثار قديمة: في هذا الفرع يتم دراسة آثار الحضارات القديمة بداية من الحضارة الفرعونية، بلد الرافدين والحضارة الإغريقية ثم الرومانية ، بالإضافة إلى باقي الحضارات الأخرى في مختلف أنحاء العالم.

3-5- اختصاص آثار إسلامية: يدرس هذا الاختصاص مختلف الثار التي خلفها المسلمون، منذ ظهور السلم إلى غاية نهاية الخلافة الإسلامية العثمانية، وأحيانا تقسم هذه الآثار إلى فترتين فترة العصر الوسيط وفترة العصر الحديث، ويقابل هذا في أوربا العصر الوسيط ثم عصر النهضة أو العصر الحديث.

4-5- اختصاص صيانة و ترميم الآثار: يدرس هذا الاختصاص أهم التقنيات و الطرق الكلاسيكية و الحديثة العلمية و التطبيقية في معالجة الآثار و المكتشفات الأثرية و المحافظة عليها للأجيال المستقبلية.